تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

رهانات الإعلام الثقافي في ظل فتح القطاع السمعي البصري بالجزائر

د. مختار جلولي جامعة ابن خلدون تيارت – الجزائر

ملخص:

يعد الإعلام الثقافي إعلاما متخصصا يهتم بقضايا الشأن الثقافي من خلال التعريف بثقافة البلد وتسليط الضوء عليها ونقلها عبر الأجيال وترسيخها ضمن مكونات الذات الإنسانية، فالثقافة اليوم هي جانب مهم من الحضارة ومكسب من مكاسب الأمم، لذلك بات الحفاظ عليها من أولويات الشعوب، فظهرت الحاجة لإعلام ثقافي يؤدي الرسالة الثقافية على أكمل وجه ويعرف بمختلف جوانب الثقافة ويحميها من الاندثار والزوال، وإذا كانت الثقافة في الجزائر قد أخذت نصيبها من الوسائل المكتوبة والمسموعة وحتى المرئية سواء بتخصيص ركن للثقافة في الصحف والمجلات العامة والخاصة وبث حصص ثقافية في الإذاعة والتلفزيون العمومي، إلا أن تغير الخارطة الإعلامية الجزائرية في الآونة الأخيرة بإجراء إصلاحات على قطاع الإعلام تجسدت بإصدار قانون للإعلام في جانفي 2012 وإلحاقه بقانون عضوي ينظم النشاط السمعي البصري 2014، فظهرت بموجب ذلك عديد القنوات الفضائية الخاصة على الساحة الإعلامية الجزائرية مما غير في شكل ومحتوى المواد المقدمة عبر هذه القنوات وجعل المتلقي أمام ثراء المحتوى وتنوعه، لكنه طرح في الوقت نفسه عديد الرهانات التي باتت تواجه الرسالة الإعلامية عامة والثقافية منها خاصة بسبب حداثة تجربة هذه القنوات وغياب المتخصصين في مجال إنتاج وتقديم البرامج والحصص الثقافية مما ترك هذه الأخيرة رهينة التسطيح والتصنيع وإفراغها من محتواها الحقيقي، وتحول الإعلام الثقافي عبر هذه القنوات إلى إعلام هاو لا يراعي جوانب الصناعة الإعلامية في الميدان الثقافي ولا يحترم خصوصيات وجماليات هذا النوع الإعلامي، وهذا ما أدى إلى تراجع الخدمة العمومية الرامية أساسا لتقديم رسالة تلبي حاجيات الجمهور وتشبع رغباته أمام سيادة المنطق التجاري الذي غلب الجانب المادي الربحي على حساب المنفعة العامة.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الثقافي، القنوات الخاصة، الخدمة العمومية.

Cultural media bets in light of the opening of the audiovisual sector in Algeria

Abstract :

Cultural media is a specialized media that cares about issues of cultural affairs by introducing the country's culture, highlighting it, transmitting it across generations and embedding it within the components of the human self. Culture today is an important aspect of civilization and a gain from the gains of nations, so preserving them has become a priority for peoples, so the need for cultural information has emerged. Performs the cultural message to the fullest extent and is known for the various aspects of culture and protects it from extinction and

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

demise, and if the culture in Algeria has taken its share from written, audio and even visual means, whether by allocating a corner to culture in public and private newspapers and magazines and broadcasting cultural shares in Public radio and television, however, the recent change in the Algerian media map through reforms in the media sector was embodied in the issuance of a media law in January 2012 and its attachment to an organic law regulating audiovisual activity in 2014, according to which several private satellite channels appeared on the Algerian media scene, which changed in form and content The material presented through these channels and making the recipient in front of the richness and diversity of the content, but at the same time put many stakes that are facing the media message in general and cultural ones in particular because of the recent experience of these channels and the absence of specialists in the field of production and presentation of programs C and cultural quotas, which left the latter hostage of flattening and industrialization and emptying it from its real content, and the cultural media turned through these channels into an amateur media that does not take into account aspects of the media industry in the cultural field and does not respect the specificities and aesthetics of this type of media, and this has led to a decline in public service that aims mainly to provide A message that meets the needs of the public and saturates its desires in front of the supremacy of the commercial logic that dominated the materialistic, profitable aspect at the expense of the public benefit.

.**Keywords**: Cultural media, private channels, public service.

مقدمة:

لا ينكر أي أحد المكانة التي أصبحت تحتلها الثقافة في حياة الإنسان والمجتمع فهي أساس الهوية والانتماء وأحد أبرز مكونات الشخصية الإنسانية وعامل مهم من عوامل بناء الحضارة، وإذا كان النسق الاجتماعي لأي مجتمع قائم على التداخل والتكامل والتضامن بين مختلف الأبنية والأنسقة الأخرى والأنظمة الفرعية له، فإن العلاقة بين الثقافة والإعلام أنتجت فيما بعد ما أصبح يسمى بالإعلام الثقافي الذي ظهر في إطار التخصص الذي فرضته الحركية والتطور الذي عرفته المجتمعات، وإذا تحدثنا عن هذا النوع الإعلامي في الجزائر فإنه اقتصر في البداية بعد الاستقلال على الإعلام الرسمي الحكومي المكتوب والسمعي البصري كجزء من الشبكة البرامجية لكن حضوره كان محدودا مقارنة بالجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الرياضي، وبعد التعددية الإعلامية التي شهدتها الجزائر بظهور قانون الإعلام 90-07 فإنه ارتبط أكثر بالقطاع المكتوب على اعتبار أن وسائل الإعلام الثقيلة من الإذاعة والتلفزيون بقيت تحت سلطة الدولة، فأعطى ذلك ديناميكية للجانب الثقافي وعرف هذا الأخير تنوعا في الطرح واستقطابا لنخبه المختلفة.

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

ومع الانفتاح في القطاع السمعي البصري الذي مهد له القانون العضوي المتعلق بالإعلام 12-05 وجسده قانون النشاط السمعي البصري 14-04 رأى البعض من المثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي الجزائري أن ظهور القنوات الخاصة سيعطي نفسا جديدا للقطاع الثقافي ويدعم تنوعه ويعمل على المحافظة عليه بفتح نقاش وحوار حول مختلف القضايا الثقافية خاصة وأن خطاب الصورة الذي بات مهيمنا اليوم له القدرة كبيرة في التأثير على الجمهور وتشكيل قناعاته وتوجهاته، لكن الواقع أثبت تناقضا فالحضور الثقافي بات متذبذبا في بعض هذه القنوات ومختزلا في بعضها الآخر وغائبا في منابر وفضاءات أخرى، وهو ما طرح رهانات وتحديات كبيرة أصبحت تواجه الثقافة الجزائرية ككل وتهدد وظيفة الخدمة العمومية المرتبطة بالجانب الثقافي في ظل تنامي النزعة التجارية لبعض هذه القنوات للمحافظة على بقاءها وربح رهان المنافسة الذي يطبع مسيرة الفضاء السمعي البصري في فترة وجيزة من ظهوره، وعلى هذا الأساس نطرح التساؤل الرئيسي لهذه المداخلة ونحاول الإجابة عنه وهو:

ما هي الرهانات التي تواجه الإعلام الثقافي في ظل فتح القطاع السمعي البصري الجزائري؟

1- تجربة القطاع السمعي البصري الخاص في الجزائر:

عرف التشريع الإعلامي في الجزائر بعد الاستقلال صدور ثلاث قوانين للإعلام، الأول في سنة 1982 ويعرف بقانون 82-01 بحيث كرس هذا الأخير سلطة الدولة والحزب الحاكم على كافة الوسائل المكتوبة والسمعية البصرية وأبقى احتكار الدولة قائما عليها، مع الانفتاح السياسي والإعلامي الذي عرفته الجزائر بعد أحداث أكتوبر 1988 والتي كان من نتائجها صدور الدستور التعددي في فيفري 1989 وإقرار التعددية السياسية، والتي أعقبتها التعددية الإعلامية فيما بعد بصدور قانون الإعلام في أفريل 1990، لكن هذا الأخير فتح التعددية في مجال القطاع المكتوب فقط وأبقى احتكار الدولة على القطاع السمعي البصري وذلك لسنوات طويلة، ونظرا للتغييرات السياسية الداخلية والخارجية التي عرفتها الجزائر خاصة مع بداية الألفية الثالثة بادرت السلطة بإصلاحات عديدة كان من نتائجها على المستوى الإعلامي صدور قانون جديد للإعلام في جانفي 2012 أنهى نوعا ما احتكار الدولة للقطاع السمعي البصري وسمح للخواص لأول مرة بالاستثمار في هذا المجال، وهو ما نصت عليه المادة 61 من هذا القانون بصراحة إذ يشير إلى "أن النشاط السمعي

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

البصري يمارس من قبل هيئات عمومية، مؤسسات وأجهزة القطاع العمومي، المؤسسات أو الشركات التي تخضع للقانون الجزائري"[1].

فالمؤسسات أو الشركات التي تخضع للقانون الجزائري يقصد بها الشركات الخاصة التي تريد الاستثمار في القطاع السمعي البصري سواء كانت لشخص واحد أو مجموعة أشخاص، وبهذا القانون تنوعت الساحة الإعلامية الجزائرية وظهرت عديد القنوات الخاصة ودخلت حيز الخدمة وكانت البداية مع قناة النهار tv ثم الشروق والجزائرية، دزاير تي في، البلاد، الأجواء، الخبر...الخ.

وبعد عامين من صدور قانون الإعلام 12-05 جاء القانون المنظم للنشاط السمعي البصري الصادر في 24 فيفري 2014، والذي أقر في مادته الثانية على أنه:" يمارس النشاط السمعي البصري بكل حرية في ظل احترام المبادئ المنصوص عليها في أحكام المادة 02 من القانون العضوي رقم 12-05 المؤرخ في 18 صفر 1433 الموافق ل12 يناير 2012"[2].

فهذا القانون فصل أكثر في كيفية تنظيم وممارسة هذا النشاط السمعي البصري وفتح المجال واسعا أمام الخواص لإنشاء القنوات، ووفر لها أرضية قانونية بعد أن كانت قبل ذلك تنشط في فراغ قانون، لأن قانون 12-05 لم يفصل أكثر في كيفية ذلك، وقد بلغ عدد هذه القنوات في ظرف ثلاث سنوات ما يفوق 15 قناة خاصة متنوعة أغلبها ذات طابع إخباري.

ويعرف قانون 14-04 الاتصال السمعي البصري على أنه:" كل ما يقدم للجمهور من خدمات إذاعية أو تلفزيونية مهما كانت كيفيات بثها بواسطة الهرتز أو الكابل أو الساتل"[3].

لكن ما يؤخذ على هذا القانون أن يحصر النشاط السمعي البصري فيما يسمى بالقنوات الموضوعاتية التي تعنى بموضوع واحد وهذا ما أشارت إليه المادة 17 من القانون 14-04 إذ تنص على "إنشاء قنوات موضوعاتية ومتخصصة فقط" ولا تسمح لها بإدراج برامج إخبارية إلا وفق حجم يحدد في رخصة الاستغلال، وهذا ما يعتبره البعض تقييدا لحرية التعبير ويتنافى مع روح الإصلاحات، كما تنص مواد أخرى من هذا القانون على بعض المواد الغامضة كأن تراعي المؤسسات الإعلامية في عملها المصالح العليا والسياسة

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

الخارجية والنظام العام والآداب العامة، فليس هناك توضيح لهذه النقاط أو تعريف لها وهو ما يعيق نشاط هذه القنوات الخاصة ويجعلها حذرة في تعاطيها مع المواضيع، وهو ما حدث لقناة الوطن مؤخرا إذ تم غلقها بحجة المساس بأمن الدولة، وكذلك نجد المادة 48 من القانون تنص على ضرورة احترام متطلبات الوحدة الوطنية والأمن والدفاع والمصالح الاقتصادية واحترام سرية التحقيق القضائي والالتزام بالمرجعية الدينية الوطنية واحترام المرجعيات الدينية الأخرى.

أما عن الخدمة العمومية في السمعي البصري والتي هي مجال اهتمامنا فيعرفها هذا القانون على أنها:" نشاط للاتصال السمعي البصري ذات المنفعة العامة التي يضمنها كل شخص معنوي يستغل خدمة للاتصال السمعي البصري في ظل احترام مبادئ المساواة والموضوعية والاستمرارية والتكيف"[4].

فالخدمة العمومية مقترنة بالمنفعة العامة الموجهة أساسا لخدمة الجمهور وتلبية رغباته وحاجاته بالتقيد بالمبادئ المنصوص عليها في هذه المادة.

2- المنتوج الثقافي في القطاع السمعي البصري الخاص: قراءة في الشبكة البرامجية لبعض القنوات

بعد صدور قانون الإعلام الجديد 12-05 بدأت بعض القنوات في الشروع في بثها التجريبي وكانت البداية مع قناة النهار TV ثم الشروق لتتكاثر بعدها القنوات الخاصة في الفضاء السمعي البصري الجزائري، وقد كانت هذه القنوات متنوعة في محتواها إذ تجمع بين البرامج الاجتماعية والسياسية والثقافية والرياضية، وسنحاول هنا أن نقدم وصفا عاما لهذه القنوات ولبرامجها الثقافية على وجه الخصوص.

2-1 قناة النهار: تعد أولى القنوات الخاصة وهي امتداد لجريدة النهار انطلقت في بثها التجريبي يوم 06 مارس 2012 مدشنة بذلك مسيرة القنوات الجزائرية الخاصة المؤسسة وفقا لقوانين المدينة الإعلامية الأردنية التي تعد أول منطقة إعلامية حرة في الشرق الأوسط والتي تأسست عام 2001، ووفقا لذلك فإن قناة النهار كانت وما زالت تعمل وتنشط كقناة أجنبية تتخذ مقرها الرئيس بالعاصمة الأردنية عمان وتبث برامجها على قمر النايلسات"[5].

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

تضم الشبكة البرامجية لهذه القناة تنوعا في المحتوى يجمع بين البرامج الإخبارية والسياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، فهذه الأخيرة في أغلبها عبارة عن أخبار خاصة بالأحداث الثقافية على الساحة الوطنية الجزائرية، بحيث نجد أن هذه القناة تدرج الأخبار الثقافية بعد كل نشرة أخبار رئيسية، وتدرج الأخبار الثقافية المهمة ضمن الموجز الإخباري الذي تبثه القناة على رأس كل ساعة، لأن القناة تحاول أن تكون إخبارية بالدرجة الأولى لذلك تركز على هذا الطابع، وهو ما جعل البرامج الثقافية تختصر في شكل أخبار عموما باستثناء بعض البرامج الثقافية المستقلة حيث يتم إدراجها ضمن النشرة الإخبارية الرئيسية للقناة تحت مسمى "الحصاد الثقافي".

2-2 قناة الشروق: انطلقت قناة الشروق في سنة 2012 وتعد ثاني قناة خاصة في الجزائر بعد قناة النهار، تبث برامجها من العاصمة الأردنية عمان، وقد وسعت مؤخرا من شبكتها بإطلاق قناة إخبارية Echourouk news وتمتلك اليوم مجموعة من المكاتب على المستوى الوطني وحتى العالمي، تضم الشبكة البرامجية لقناة الشروق العامة برامج متنوعة تجمع بين الأخبار والفن والرياضة والبرامج الاجتماعية، أما عن البرامج الثقافية فنجدها محدودة ونذكر منها البرنامج التثقيفي "زدني" وهو برنامج تنافسي بالدرجة الأولى، وقد حظي بمتابعة من طرف الجمهور نظر لما يقدمه من معلومات إضافة إلى شخصية مقدمه المعروفة، بينما قناة الشروق الإخبارية فتركز ضمن نشراتها الإخبارية على الأخبار الثقافية وتدرجها ضمن نشرات الأخبار والمواجيز الإخبارية.

2-3 قناة الجزائرية: "وهي قناة متنوعة تهتم بقضايا المجتمع كافة كالبرامج السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والفنية، كما تبث العديد من البرامج والمسلسلات الدرامية والأفلام من دون توقف، لتكون ثالث قناة تظهر للوجود في الجزائر من صنف القنوات الخاصة المؤسسة في الخارج، انطلقت في بثها يوم 05 جويلية 2012" [6]

تعد هذه القناة من بين أبرز القنوات التي أولت للبرامج الثقافية اهتماما وخصصت لها حيزا ضمن شبكتها البرامجية كالحصة الأسبوعية "الفهرس" من تقديم الدكتور أمين الزاوي، والثقافية نيوز التي تطل على المشاهد كل أيام الأسبوع بعد الأخبار الرئيسية للقناة، وهي أول زاوية على الإطلاق مخصصة للثقافة والفن"[7].

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

فالبرنامج الأسبوعي الفهرس يستضيف ككل مرة أحد الكتاب والمؤلفين ويحاوره ويعرض لانتاجاته ومؤلفاته ويسوق لها بدعوة القارئ لاقتنائها، إذ تعد هذه الحصة فريدة من نوعها لأن مقدمها يعد من أبرز الكتاب والأدباء في الجزائر، وهو الدكتور أمين الزاوي، إضافة إلى أن هذا النوع من البرامج على وجه الخصوص يعد محدودا في باقي القنوات الخاصة، أما عن الثقافية نيوز فهي عبارة عن حصاد ثقافي يسلط الضوء على أهم الأخبار الثقافية وأبرز التظاهرات الثقافية في الجزائر على غرار المهرجانات والأحداث الثقافية الوطنية ويناقشها بحضور شخصيات ووجوده ثقافية ذات صلة بالموضوع محل النقاش مما يؤدي إلى إثراء الحوار والنقاش ويقدم معلومات مهمة عن هذا الحدث الثقافي.

2-4 نوميديا نيوز: تأسست كوكالة إخبارية جزائرية إلكترونية تمتلك 22 مكتبا في العالم حاملة اسم مملكة نوميديا الأمازيغية التي قامت في عصور ما قبل الميلاد وهي الجزائر حاليا، انطلقت كقناة فضائية في بثها التجريبي في 11 ديسمبر 2012 بعرض تقارير مصورة التقطتها كاميراتها عبر العالم على القمر الصناعي نايل سات، وتعتمد القناة على تقارير يعمل مراسلوها من واشنطن وبكين مرورا بمختلف العواصم الأوروبية والعربية وتبث القناة برامج إخبارية خاصة السياسية منها إضافة إلى نشرات ومواجيز إخبارية، أما عن حظ البرامج الثقافية فإن القناة تركز أكثر على الأخبار الثقافية ضمن نشراتها وتسلط الضوء عليها وإدراجها كأخبار فقط.

إن ما يلاحظ عموما على الشبكة البرامجية لهذه القنوات الخاصة أنها تميل أكثر إلى البرامج الإخبارية أكثر من باقي البرامج الأخرى، على الرغم أن بعضها يصنف كقنوات متنوعة، وتحاول أن تجعل من نفسها قنوات إخبارية بالدرجة الأولى وهذا ما يبرز من خلال محاولتها تحقيق السبق الإخباري بالانفراد بنقل الخبر وسرعة الوصول إليه في ظل المنافسة الشديدة التي تعرفها هذه القنوات فيما بينها لحصد أكبر نسبة مشاهدة واستحواذ الرأي العام وكسب سمعة إعلامية لدى الجمهور الجزائري، أما عن البرامج الثقافية بهذه القنوات فإن حضورها متفاوت من قناة لأخرى، لكن ما يجمع بين هذه القنوات أنها تحصر البرامج الثقافة في إطار إخباري وتخصص لها حيزا ضمن النشرة الإخبارية أو الموجز، وهذا ما يجعل الخبر الثقافي هو الغالب في خارطة البرامج الثقافية في هذه القنوات من خلال الاعتماد على نقل الأخبار الثقافية المرتبطة أساسا بالأحداث الثقافية

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

التي تعرفها الساحة الوطنية والدولية من مهرجانات ثقافية خاصة بالسينما والمسرح وباقي الفنون، لكن ما يؤخذ على هذه الأخبار الثقافية أنها لا تهتم غالبا بمظاهر وأشكال الثقافة على اختلافها وإنما تختصرها في نقل أخبار الفنانين وانتاجاتهم في ميدانهم الفني كالمطربين والممثلين وتركز أيضا على حياتهم الشخصية والفنية أكثر بالإضافة إلى برامج الموسيقى والطرب وهو ما يشوه الثقافة ويوقعها في خانة التنميط.

3- رهانات الإعلام الثقافي في القنوات الجزائرية الخاصة:

يعاني الإعلام الثقافي في الجزائر من جملة من الرهانات منها ما هو مرتبط بالقائم بالإعلام ومنها ما هو مرتبط بالمادة أو المحتوى الثقافي، وفي القطاع السمعي البصري تبرز هذه الرهانات على القطاعين العام والخاص، لكننا سنركز على القطاع الخاص باعتباره حديث النشأة ويعرف تنوعا وثراء في المحتوى وحتى في العدد.

3-1) غياب الكادر المتخصص:

يقصد بالكادر المتخصص في ميدان الإعلام الثقافي هو ذلك الصحفي المؤهل والمتخصص في ميدان الثقافة والذي له دراية بما يحتويه لذلك "فإن المعالجة الإعلامية للحياة الثقافية لابد أن يقوم بها الإعلامي الثقافي الذي يمتلك خبرة في الحياة الأدبية والنقد والفن والثقافة والسياسة والتعامل مع المجتمع والعمل الثقافي دون تأهيل ثقافي وإيديولوجي كافيين يهدم الحياة الثقافية ويقلل من غناها وتنوعها وسوف يعزل الظاهرة الثقافية عن سياقها الاجتماعي الاقتصادي السياسي"[8].

لأن الإعلامي غير المؤهل في هذا المجال وفي هذا النوع من البرامج سيؤدي إلى تشويه صورة الثقافة والعمل ككل من خلال الخلط وعدم التمييز بين الأشكال الثقافية وتسطيح معالجتها، "ويوجد تصور شديد في

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

الاهتمام بتأهيل الكوادر البشرية المدربة على ممارسة العمل الإعلامي بشكل احترافي، وهناك عدم يقين في معرفة حجم الجماهير المستهدفة وخصائصهم الديمغرافية والسيكوغرافية".[9]

إن غياب الكوادر المتخصصة في ميدان الإعلام الثقافي بالقنوات الجزائرية الخاصة بات من أبرز الرهانات التي تواجه هذا النوع الإعلامي، إذ يتم إسناد أي صحفي أو منشط لتقديم البرامج الثقافية على العكس من ذلك نجد في البرامج السياسية أنه يتم انتقاءهم باحترافية من ذوي المستوى العالي والثقافة السياسية والدراية بالموضوع في حد ذاته ونفس الشيء بالنسبة للبرامج الرياضية فغالبا ما يتم الاستعانة برياضيين سابقين سواء كمنشطين لهذه البرامج أو كشخصيات حاضرة في الاستوديوهات لإثراء النقاش والتحليل، بينما في البرامج الثقافية يغيب أصحاب الاختصاص من الأدباء والمثقفين والنخب الثقافية على وجه الخصوص.

ويلخص الإعلامي عبد الرزاق بوكبة إشكالية غياب الكادر الإعلامي المتخصص بقوله:" أن القنوات التلفزيونية الخاصة التي تبث الآن وقعت في معظم عيوب التلفزة الرسمية، ومنها عدم الاعتناء الثقافي إلا في حدود ضيقة، كما أن الحصص الثقافية المدرجة في شبكات هذه القنوات باتت تعمل على إضاءة من يقدمونها لا إضاءة الثقافة الوطنية ومنتجوها على اختلاف وجوههم وجهاتهم واتجاهاتهم"[10]، كما يقترح الحل في ذلك من خلال دعوته إلى ضرورة ترك الصوت الثقافي ينطلق وينطق بحرية على أساس من الكفاءات لا الولاءات وربط الحصص الثقافية والإنتاج الثقافي عموما بالحياة الواقعية لا بالأبراج العالية لتصبح قادرة على صناعة وعي جديد.

فالأجدر بالإعلام السمعي البصري العمومي والخاص أن يعمل على تكوين صحفيين ومنشطين في ميدان الإعلام الثقافي أو ما يصطلح عليه بالقائم بالإعلام الثقافي والذي يمتلك مهارات وخبرات في هذا المجال ويكون مطلع على أبرز التقنيات الحديثة في ميدان صناعة الثقافة وتقديمها للجمهور في قالب مشوق وثري حتى لا يختزل المنتوج الثقافي ويشوه صورته الحقيقية إضافة إلى الاستعانة بالمثقفين في هذا المجال من الأدباء والمفكرين لتقديم هذه البرامج بإضافة لمسة فنية وجمالية حقيقية عليها كما هو الحال بالنسبة لبرنامج "الفهرس " في قناة الجزائرية الذي ينشطه الأديب أمين الزاوي أو برنامج "كريتيكا" في قناة الخبر KBC الذي يقدمه البروفسور المتخصص في علم الاجتماع ناصر جابي والذي يقدم من خلاله نقدا وتمحيصا لأعمال

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

ومؤلفات الأكاديميين في ميادين عدة كالفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والسياسة وغيرها، أو استضافة هؤلاء الشخصيات في البرامج ومحاورتها وتقديم جديدها وإثراء النقاش حول مختلف المسائل الثقافية المطروحة على الساحة وتزويد الجمهور بكل ما هو جديد فيها حتى يكون على دراية ومعرفة شاملة بما يدور حوله في المجال الثقافي، فصبغة المتخصصين لها طابع خاص في تقديم البرامج وإثراءها لأنها تزيد البرنامج متابعة وتشوق الجمهور لترقبها من حين لآخر على عكس غير المتخصصين والمؤهلين في مجال الإعلام الثقافي نجد تقديمهم يمتاز بالرتابة والنمطية والجمود مما يجعل المتلقي ينفر منها.

3-2) المعالجة الناقصة للحدث الثقافي:

يرتبط الحدث الثقافي أكثر بالموضوع الثقافي في حد ذاته وبالمجال الثقافي الذي يندرج فيه، ويتميز ببعض الخصائص والسمات التي تميزه عن بقية الأحداث الأخرى:[11]

- الحدث الثقافي هادئ وتطوره بطيء وإيقاعه ليس سريعا.
- رجال الأدب والفن والموسيقى من الشخصيات الواجب توفرها في الحدث الثقافي لخلق مجال ثقافي.
- الحدث الثقافي عبارة عن عملية كاملة تستدعي معالجتها وفهمها ضمن السياق العام.
- الحدث الثقافي عميق والتعامل معه أعمق ولا يتم إلا من خلال رؤية واضحة من كل الجوانب.
- ضخامة الحدث الثقافي وحدود آثاره المتوقعة ونتائجه الملموسة محدودة ومتواضعة.
- تسييس الحدث الثقافي قد يؤدي إلى بروزه ولكنه يفقد مضامينه الثقافية.

من خلال هذه الميزات السالفة الذكر نستنتج أن للحدث الثقافي معالجة خاصة تتطلب التركيز العميق في الحدث وفهمه من كل الجوانب وعدم عزله عن السياق المحيط به وإبقاءه مستقلا عن التحيزات الأيديولوجية لأن ذلك قد يؤدي به إلى تبني نظرة معينة ترجع في الغالب لصاحبها.

ويتسم الحدث الثقافي عموما في القنوات الجزائرية الخاصة بالمعالجة الناقصة والتسطيح للمواضيع الثقافية وعدم التركيز عليها والاهتمام أكثر، ويظهر ذلك جليا من خلال الوقت المخصص للأحداث الثقافية

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

خاصة في نشرات الأخبار واختزالها في حيز زمني قصير دون التعمق فيها ومعرفة آراء الفاعلين فيها والمتخصصين في هذا المجال لإضفاء نوع من المعالجة المعمقة، فيتم نقل الحدث الثقافي على شكل خبر صحفي قصير وغالبا ما يكون خبرا مركبا يحتوي على أكثر من حدث وفعل ثقافي وهذا ما يوحي بعدم الاهتمام بالجانب الثقافي في هذه القنوات، أما عن البرامج الثقافية فتختلف من قناة لأخرى، وإذا تم استدعاء المتخصصين فيها فإما أنه يتم طرح أكثر من موضوع وهذا ما يجعل المدة الزمنية لكل حدث ثقافي ضئيلة، كما أن هذه البرامج تصنف ضمن البرامج القصيرة فمدتها تتراوح بين 25 دقيقة إلى حدود 40 دقيقة وبالتالي فإن طرح أكثر من موضوع فيها ومعالجته بعمق يعد مستحيلا.

فالبرامج الثقافية في الوسائل السمعية البصرية الجزائرية ومنها الخاصة "أصبحت ترتبط أكثر بالأزياء والغناء والفلكلور ليس في ثوبه الراقي لكن في صورته المبتذلة والاشتغال على عامل الإبهار لا المضمون، أما البرامج التي تنتج المعرفة وتغوص في المسائل الثقافية وتطرح الأسئلة فقليلة جدا ومصيرها في الغالب التوقف أو الثبات على رتم واحد مما يبعث على الملل في نفس المتلقي، كما أنها قليلة ولا تفي كل مجالات الثقافة كالمسرح والسينما والفنون التشكيلية والمسائل الفكرية فهي لا تواكب المشهد الثقافي والأدبي في مجمله للنخبة وليس لكل الفئات"[12].

إذن فالمعالجة الناقصة للحدث الثقافي في القنوات الجزائرية الخاصة تظهر في بعض المستويات منها عدم الاهتمام بكل الجوانب الثقافية والتركيز فقط على برامج الفن والموسيقى المنحطة وتتابع أخبار المشاهير من الفنانين والمطربين بدل الاهتمام بالمفكرين والمبدعين والمثقفين والنقاد إضافة إلى تهميش هذه البرامج وبثها في ساعات متأخرة من الليل بدل بثها في أوقات الذروة التي تحظى بمتابعة ومشاهدة كبيرة من طرف الجمهور الجزائري، ويرى الدكتور عاشور فني وهو أستاذ بجامعة الجزائر 03 والمختص في اقتصاديات وسائل الإعلام السمعية البصرية أن "الإدارة سمحت لتلك القنوات ويقصد الخاصة بالعمل خرج القانون، وحين اشتغلت هذه الشاشات لم تقدم نموذجا بديلا ولم يؤسس لصناعة ثقافية تتمتع بالجودة أو خدمة مهنية تمثل قيمة مضافة بل بدت أنها أكثر رداءة من التلفزيون العمومي، كما يصف هذه القنوات بأنها خلقت نموذجا مؤذيا للثقافة والذائقة

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

العامة من خلال الترويج للإثارة والترفيه المبتذل بالعودة للغرائز البدائية كالخوف من المجهول والشعوذة واستغلال حاجة الناس وبث برامج صرف الجان وغيرها عوض حصص التوعية والثقافة"[13].

لقد عملت بعض القنوات الجزائرية الخاصة على النظر للثقافة من منظور ترفيهي فقط من خلال اهتمامها بالبرامج الترفيهية لجذب اهتمام وانتباه الجمهور الجزائري لها وكسبه فغلبت وظيفة الترفيه في مقابل وظيفة الخدمة العمومية المراد الوصول إليها، وانتقلت بهذه البرامج الترفيهية كالفكاهة إلى الكسب المادي والربح التجاري من خلال بث الإشهار في أوقات بث هذه البرامج للتأثير على الجمهور على غرار برامج الفكاهة مثل "قهوة القوسطو" في قناة الجزائرية و"جرنان القوسطو" أيضا وبرنامج "جمهورية تفتوفة" بقناة الخبر وكذا برامج الكاميرا الخفية بقناة النهار والشروق وحتى البرامج الفنية الأخرى كبرنامج فنانينlive بقناة الجزائرية سابقا وبرنامج كلام وسلام وغيرها من البرامج التي روجت للترفيه على حساب الثقافة وتم تصنيفها على أنها برامج ثقافية.

إن هذه البرامج اعتمدت على الإثارة بالتركيز على الفنانين في مجال الغناء الهابط وتسليط الضوء على حياتهم وانتاجاتهم وألبوماتهم واختزال الثقافة في الفن الهابط فقط باستهداف فئة الشباب لأنهم الأكثر تقليدا وتأثرا واهتماما بأخبار الفنانين والنجوم، "لقد هيمنت الثقافة الطافحة culture de flot على الشاشة الصغيرة في جل دول العالم وصارت الغلبة فيها للبعد الترفيهي والتسلوي على حساب البعد التعليمي والتثقيفي هذا ما نلاحظه في بروز برامج الموسيقى والفيديو كليب والمنوعات التي تتناول حياة نجوم الفن والطرب وأسرارهم"[14].

3-3) مناسباتية الفعل الثقافي:

يعد هذا الرهان من أبرز الرهانات التي تواجه الإعلام الثقافي في الجزائر، فوسائل الإعلام السمعية البصرية ومنها القنوات الخاصة أصبحت تنظر للفعل الثقافي على أنه فعل مناسباتي يرتبط بمواقيت ومناسبات محددة على غرار معارض وصالونات الكتاب ومهرجانات الأفلام والتظاهرات السينمائية والمهرجانات الفنية الأخرى، إذ كلما كانت هناك مناسبة ثقافية معينة نجد أن هذه القنوات تغطيها وإن كانت هذه التغطية غير كاملة يشوبها النقص وإذا غابت هذه المناسبات يغيب الفعل الثقافي وتتعطل الثقافة، ويمكن ملاحظة ذلك مثلا في الصالون الدولي للكتاب (28 أكتوبر – 07 نوفمبر 2015) إذ خصصت قناة النهار مثلا لهذا الحدث

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

برنامجا يستقرئ رفوف المكتبات ودور النشر المشاركة وتركز على أهم الانتاجات الفكرية، كما تبرز هذا الحدث الثقافي كباقي القنوات الخاصة الأخرى في نشراتها الإخبارية من خلال استطلاع آراء الجمهور حول المعرض أو بالتركيز على الشخصيات الرسمية الزائرة لهذا المعرض كوزير الثقافة ووزير الاتصال ...الخ، وفي الميدان السينمائي أيضا نجده مرتبط بالمناسبات فقط وهذا ما لاحظناه في مهرجان الفيلم العربي بوهران ومهرجان الفيلم بقسنطينة بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية وحتى مهرجان الفيلم المتوسطي بعنابة وغيرها، فتركيز هذه القنوات يكون في هذه المناسبات فقط، لكن سرعان ما يتوقف ذلك بمجرد انتهاءها، هذا الحال لخصه الدكتور بلقاسم مصطفاوي في مداخلته التي ألقاها في اليوم الدراسي المنظم من طرف المدرسة الوطنية العليا للصحافة المعنون بأهمية الإعلام في الترويج لصورة الجزائر بقوله: "بأن القنوات الجزائرية أهملت الاهتمام بالثقافة الجزائرية ضمن برامجها"[15].

3-4) تغييب النخب الثقافية:

تعاني البرامج الثقافية في أغلب الأحيان بالقنوات الجزائرية الخاصة من مشكل غياب وتهميش النخب الثقافية وإقصاءها من المشاركة في هذه البرامج، إذ يرى الروائي الجزائري الحبيب السايح "أن الحوارات الثقافة الجريئة غابت عن الشاشة الصغيرة وغابت معها فضاءات النقاش الثقافي التي تمنح للمثقف الجزائري فرصة مشاركة أفكاره مع الغير، كما يشير إلى أن مسئولي القنوات الجزائرية تعودوا على العمل مع وجوه واحدة تداول على الظهور باستمرار فيما تغيب وجوه أخرى بإمكانها أن تعطي دفعا خاصا وأن لها من الإبداع ما يسمح بإنعاش الحضور الثقافي على القنوات الجزائرية مشيرا في ذات السياق إلى التهميش الذي يعرفه المثقف الجزائري والذي وصفه بالممنهج هدفه إقصاء النخبة من المشاركة في تفعيل وجودها على كل المستويات إن كانت الثقافية، السياسية وحتى الاجتماعية"[16].

إن غياب المثقفين عن تقديم البرامج الثقافية والمشاركة في نقاشاتها المفتوحة يبدو واضحا وجليا في القنوات الجزائرية الخاصة، إذ تكتفي هذه القنوات بإسناد هذه البرامج إلى صحفييها ولا تستعين في ذلك برجال الثقافة والأدب، كما أن أغلب الشخصيات التي يتم استدعائها في بعض البرامج هي شخصيات دأبت على الحضور بهذه البرامج مما يؤدي إلى إشكالية اللاتوازن بين هذه النخب، فتبرز للجمهور نتيجة حضورها الدائم

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

ويتعرف عليها أكثر، ويتم تغييب وتهميش نخب أخرى، مما يؤدي إلى نسيانها لأن وسائل الإعلام خاصة السمعية البصرية تعمل على إبراز المثقفين والشخصيات المشهورة والترويج لها ولأفكارها.

3-5) تسطيح الثقافة:

ظهر هذا المفهوم في أحضان مدرسة فرانكفورت حينما نقدت الثقافة التي تروج لها وسائل الإعلام والتي اعتبرتها ثقافة جماهيرية عملت على تسطيحها وأدت إلى تسليعها وتنميطها بجعلها على مقاس واحد، إذ أصبحت الثقافة بفعل ذلك ثقافة سطحية لا تعبر عن مضمونها الحقيقي، وانتشرت بذلك ما تسمى ثقافة التسلية، فيقول البعض "إن رؤية مناهضي ثقافة التسلية ليست جديدة وإنما مستلهمة من مدرسة فرانكفورت التيس ظلت تنتقد أو بالأحرى تندد بالثقافة الجماهيرية منذ أكثر من ربع قرن، فهذه المدرسة ترى أن الإنتاج الصناعي للثقافة قد أدى إلى تنميطها وإحداث التشابه بين ما تنتجه أو تعرضه إلى درجة أنه قضى على تمايز المادة الثقافية وانفرادها، كما أن نظام السوق قد جعل القيمة التبادلية للإنتاج الثقافي تطغى على قيمته الاستعمالية بل إنه جرد المادة الثقافية بصرف النظر عن نوعها"[17].

فالملاحظ على الشبكة البرامجية للقنوات الجزائرية الخاصة باستثناء برامجها الإخبارية أنها عملت على تكريس ثقافة التسلية باعتمادها أكثر على وظيفة الترفيه لكسب الجمهور الجزائري إليها فانتشرت بذلك البرامج الفكاهية بكثرة وأخذت حيزا زمنيا كبيرا مقارنة بالبرامج الثقافية الجادة وهذا ما جعل هذه القنوات تحيد عن وظيفة الخدمة العمومية التي كرسها قانون النشاط السمعي البصري، مما دفع سلطة الضبط السمعي البصري مؤخرا لتقديم إنذار لهذه القنوات ومطالبتها بضرورة احترام حق المواطن في الإعلام ونقل انشغالاته وتلبية حاجياته، فالقنوات الجزائرية الخاصة عملت على تقديم البرامج الترفيهية والدخول في منافسة من أجل استقطاب الجمهور إليها، فنجد برنامج "قهوة القوسطو" و"جرنان القوسطو" بقناة الجزائرية وبرنامج "ألو ألو" بقناة الخبر إضافة إلى الدراما التي نالت حيزا معتبرا هي الأخرى تأتي في مقدمتها المسلسلات التركية دون أن ننسى البرامج الموجهة للمرأة على غرار البرامج المخصصة للطبخ والتجميل والأزياء...الخ، وهذا كله يقف عائقا أمام حضور الجانب الثقافي الجاد ويدعم هيمنة ثقافة الترفيه والاستهلاك.

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

خاتمة:

ما يمكن أن يقال في ختام هذه الورقة أن واقع الإعلام الثقافي في القطاع السمعي البصري الخاص هو واقع مخيب لا يعبر عن الواقع الحقيقي للثقافة الجزائرية وما تحتويه من فنون وأشكال متعددة، وهذا ما يبرزه الحضور الثقافي بهذه القنوات الذي أصبح حضورا مناسباتيا مرتبطا أكثر بالأحداث الثقافية البارزة ومقتصرا على وجوه ثقافية معينة ومغيبا لأخرى، فضلا عن غياب العنصر البشري المتخصص والمؤهل لتقديم البرامج الثقافية وعدم الاستعانة بالمتخصصين في هذا الميدان من رجال الثقافة، أما على مستوى المعالجة فنجد هيمنة الخبر الثقافي في أغلب هذه القنوات مما جعل مختلف الأشكال الثقافية عبارة عن أحداث وأفعال عابرة في حين غابت باقي الأنواع الأخرى على غرار الحوار والمقابلة، هذه الأخيرة التي تعمل على تقديم المثقف للجمهور والتعريف بمختلف انتاجاته الفكرية سواء في ميدان الأدب والفن والسينما والمسرح وغيرها، كما سادت ثقافة التسلية والترفيه من خلال تعزيز حضور الفكاهة وبرامج الغناء والطرب وتسطيح الثقافة الجادة ذات المستوى الرفيع واختزالها في أشكال لا تعبر عن حقيقتها وهو ما أدى إلى سيادة الثقافة الجماهيرية.

لذلك يستوجب من هذه القنوات الخاصة أن تدعم حضور الجانب الثقافي في شبكتها البرامجية وتنوعه باستهدافها لمختلف الأشكال الثقافية من الأدب والفن الراقي والمسرح والسينما...الخ، ولا تختصره في شكل أخبار وإنما تنوع في استخدام باقي الفنون للتعريف بالمنتوج الثقافي المتنوع والمتعدد وتعرف به لدى الجمهور وتعمل على تقريبه حتى لا يبقى حكرا على فئة دون أخرى وأن تستعين بالمتخصصين في الجانب الثقافي والنقاد لتمحيص وتقييم الأعمال الثقافية المتنوعة وهذا حتى تعود الصورة الحقيقية للثقافة وللمثقف.

تاريخ استقبال المقال 2020/02/25 تاريخ قبول نشر المقال 2020/04/03 تاريخ نشر المقال 2020/06/30

الهوامش:

[1] الجريدة الرسمية(2012). **قانون الإعلام 12-05**. (02). ص27.
[2] الجريدة الرسمية(2014). **قانون النشاط السمعي البصري**. (16). السنة 21. ص08.
[3] نفس المرجع. ص08.
[4] نفس المرجع. ص08.
[5] جريدة الحياة الجزائرية. **عندما تتحول الصحف إلى علب فضاء**. متوفر على الرابط: http://www.elhayat.net/rebrique28.html تاريخ النظر 2015/12/24 الساعة 10:30.
[6] جريدة الحياة الجزائرية. **القنوات التلفزيونية الخاصة: عندما تتحول الصحف إلى علب فضاء**. متوفر على الرابط: http://www.elhayat.net/rebrique28.html تاريخ النظر 2015/12/24 الساعة 10:45.
[7] **حديث عن واقع البرامج الثقافية على القنوات الجزائرية**. متوفر على الرابط: http://www.startimes.com/f.aspx?mode تاريخ النظر 2015/12/24 الساعة 12:00.
[8] أديب خضور(2005). **الإعلام المتخصص**. دمشق. دار النشر للتوزيع. ط2. ص77.
[9] حسن عماد مكاوي(2003). **الفضائيات العربية الخاصة ومردودها الإعلامي**. تونس. مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. (01). ص10.
[10] **حديث عن واقع البرامج الثقافية على القنوات الجزائرية**. متوفر على الرابط: http://www.startimes.com/f.aspx?mode تاريخ النظر 2015/12/24 الساعة 12:00.
[11] أديب خضور. **الإعلام المتخصص**. مرجع سبق ذكره.
[12] **حديث عن واقع البرامج الثقافية على القنوات الجزائرية**. متوفر على الرابط: http://www.startimes.com/f.aspx?mode تاريخ النظر 2015/12/24 الساعة 12:00.
[13] جريدة الحياة الجزائرية. **القنوات التلفزيونية الخاصة: عندما تتحول الصحف إلى علب فضاء**. متوفر على الرابط: http://www.elhayat.net/rebrique28.html تاريخ النظر 2015/12/24 الساعة 14:30.
[14] نصر الدين العياضي(2010). **البرمجة التلفزيونية في القنوات العربية (دراسة تحليلية للأسس والدلالات)**. مجلة البحوث والدراسات في العلوم الإنسانية. جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة. (05)، ماي 2010، ص368.
[15] جريدة الشروق. **القنوات الجزائرية أهملت الثقافة في شبكتها البرامجية**. متوفر على الرابط:http://www.echoroukonline.com/ara/sp تاريخ النظر 2015/12/24، الساعة 16:30.
[16] جريدة الفجر. **بحث في فائدة البرامج الثقافية في المحطات التلفزيونية والإذاعية الوطنية**. متوفر على الرابط: http://www.al-fadjr.com/ara/ تاريخ النظر 2015/12/25 الساعة 13:00.
[17] نصر الدين العياضي(2000). **إشكالية وسائل الاتصال السمعي البصري بين تسلية الثقافة وثقافة التسلية**. تونس. مجلة إتحاد إذاعات الدول العربية. (02). 2000. ص11.